مفهوم الصورة بين وجهة النظر الأفلاطونية والرؤيا الإسلامية

أ . د . صفا لطفي

ملخص البحث :

يهتم البحث الحالي بدراسة مفهوم الصورة بين وجهة النظر الأفلاطونية والرؤيا الإسلامية ويقع في ثلاثة فصول يتعرض الفصل الأول فيها إلى مشكلة البحث والتي تتلخص بالتساؤل الآتي : ماهو مفهوم الصورة من وجهة النظر الأفلاطونية وما هو مفهوم الصورة من وجهة النظر الإسلامية ؟ وماهي آليات اشتغالاتها ؟

وكذلك أهمية البحث وهدف البحث وحدود البحث وكذلك تحديد المصطلحات . أما الفصل الثاني فقد تضمن مبحثين : المبحث الأول : (الصورة عند أفلاطون) والمبحث الثاني : الصورة في الفكر الإسلامي

في حين خصص الفصل الثالث إلى أولا : نتائج البحث والتي منها :

١- ثمة رابط مشترك في مفهوم الصورة بين أفلاطون والفكر الإسلامي ، فكلاهما يرجع الصورة إلى عله واحده ، تستمد قوتها (أي الصورة منها)

٢- الصورة الحقيقية عند أفلاطون غاب عنها الجانب الحسي فهي مثالية غير متعينة ، كذلك هو الحال في الفكر العربي الإسلامي ، فالصورة هنا لاتدرك بالعين الاعتيادية وإنما بعين القلب النورانية .

ثانياً : التوصيات ، ومنها :

ضرورة اطلاع دارسي الفن على الفكر الأفلاطوني ، كونه فكر فيه الشيء الكثير من الآراء التي لاقت صدىً واسعاً في الفن الإسلامي .

ثالثا : المقترحات ، ومنها :

١- مفهوم الصورة عند أرسطو والفكر الإسلامي (دراسة مقارنة)

٢- مفهوم الصورة في اللغة العربية .

وكذلك والمصادر .

الفصل الأول:

أولا: مشكلة البحث:

يعد الفكر الفلسفي الأنموذج الأول في حياة الإنسان ، بدءاً من العصور الموغلة في التاريخ إلى يومنا هذا.

ومنذ ذلك الحين ارتبطت المذاهب الفلسفية ببعضها ، وهذا ما أكده الباحثون في دراستهم لتلك الأفكار بإطارها الحضاري الخاص .

ويمكن القول أن هذه التيارات الفلسفية ارتبطت بروح العصر الذي ترجع إليه ، إذ وثقت لنا سمات هذا العصر بكل جوانبه العقائدية والدينية والفكرية والتاريخية على الرغم من الاختلافات الواضحة بين عصر وآخر.

وعلى سبيل المثال كان لليونانيين تعاملهم مع عقائدهم وكذلك في فكر وادي الرافدين القديم والفكر المصري القديم وهو ماكان طريقة منهجية للتحليل الواعي والنظرة الشاملة لمشكلات العصر المعني.

وهنا يمكن القول أن التفكير الفلسفي يقوم بأساسه على مهمتين أساسيتين مهما كان الاختلاف بين تيار فلسفي وآخر

، إذ يتبين أن أولى هاتين المهمتين : هو الجانب التحليلي وثانيهما : هو الجانب التركيبي التأملي. (١) .

وهنا يمكن الرجوع إلى جوانب الفلسفة الجمالية اليونانية ، لاسيما الفلسفة الأفلاطونية باعتبارها باكورة الفكر المثالي ، وذلك ما يجعل هذه الفلسفة على جانب كبير من الأهمية لمساهمتها بجانب عظيم من مقومات البناء الفلسفي للحضارة البشرية وهو ما حوّل الفكر الإنساني من فكر أسطوري إلى فكر علمي يحلل ويناقش ويبرهن.

فقد قاد خيال أفلاطون وتفكيره المنطقي ،البشرية إلى التفكير والبحث عن الأصل الإلهي ، وبذلك عدّه السبب والمسبب لصيرورة الجمال وفنائه. (٢) .

ومن ثم التوصل إلى مفهوم الصورة ، وهو ما قاده إلى تقييم الصورة إلى صورة حقيقية : وهي الصورة الموجودة في عالم المثل ، والصورة الوهمية : وهي الصورة الموجودة في عالم الحس ، والتي هي انعكاس لتلك الصورة الحقيقية.

إذن بحث أفلاطون عن الصورة الواحدة الخالدة التي لاتزول بزوال الأماكن والأزمان.

وهذا ما ألقى بظلاله على ساحة الفكر الإسلامي المؤمن بوجود علّة واحدة تؤول إليها كل العلل ، تلك العلّة هي الخالق ، الباري عز وجل.

وتأسيسا على ذلك ، فقد وجدت الباحثة إن هناك مشكلة تتمثل بوجود فكرين فلسفيين مشتركين في بعض الأفكار ، وهذا ما يلقي على عاتق الباحثة أجراء الدراسات لمعرفة نقاط التشابه والاختلاف بين الفكر الأفلاطوني وكيف ينظر إلى الصورة والفكر العربي الإسلامي وماهي رؤيته الفكرية للصورة. وهذه الدراسة على حدّ علم الباحثة لم تبحث سابقا.

من خلال ما تقدم تستطيع الباحثة صياغة مشكلتها بالتساؤل الآتي :

ماهو مفهوم الصورة من وجهة النظر الأفلاطونية وما هو مفهوم الصورة من وجهة النظر الإسلامية ؟

ثانيا : هدف البحث:

يهدف البحث الحالي إلى كشف مفهوم الصورة من وجهة النظر الأفلاطونية والرؤيا الإسلامية.

ثالثا : أهمية البحث:

١ . تكمن أهمية البحث الحالي في أنه يدرس فكرين فلسفيين مختلفين من ناحية البيئة والزمان (الفكر اليوناني الأفلاطوني) و (الفكر العربي الإسلامي)

٢ . يعد أساسا نظريا يفيد الباحثين في مجال الفكر واللغة والفلسفة.

٣ . إن دراسة التراث الفكري والفلسفي ، يعَد الأساس ونقطة الانطلاق لكل جديد.

٤. يفيد الدارسين في مجال الدراسات النقدية والمعرفية واللغوية .

رابعا : حدود البحث :

يتحدد البحث الحالي بدراسة الآتي :

١. الحدود الزمانية : يتحدد البحث الحالي بدراسة مفهوم الصورة عند أفلاطون من « ٤٢٧ـ ٣٤٧ قبل الميلاد « ومفهوم الصورة في الفكر العربي الإسلامي منذ بدء الرسالة المحمدية العظيمة .

٢. الحدود المكانية : يتحدد البحث مكانيا باليونان موطن الفيلسوف اليوناني أفلاطون من جهة والجزيرة العربية موطن الإسلام الأول ، من جهة أخرى .

٣. الحدود الموضوعية : مفهوم الصورة بين وجهة النظر الأفلاطونية والرؤيا الإسلامية.

خامسا : تحديد المصطلحات:

١. المفهوم (Comprehension)

يعرفه لغويا (الرازي : ١٩٨٣) بأنه : (فهم) الشيء بالكسر (فهما) و(فهامة) أي علمه وفلان فهم و (استفهمه) الشئ (فافهمه) و (فهمه تفهيميا) الكلام فهمه شيئا فشيئا . (٣).

ويعرفه (جبران ، ١٩٦٠) بأنه : « ولفهم السريع الفهم : تصور الشئ وإدراكه ومعرفته بالقلب والإحاطة به ، وجمعه افهام ومفهوم « (٤)

ويعرفه (علوش : ١٩٨٥) بأنه ((وحده يمكننا إدراكها خارج اللغة بشكل ذهني خالص)) (٥)

ويعرفه (فؤاد :ب.ت) بأنه ((المعنى الذي تستدعيه كلمة ما في ذهن الإنسان، غير معناها الأصلي وذلك لتجربة فردية واجتماعية ، كما إذا ذكر اسم شارع ما ، فانه قد يذكر المرء بشئ ، قد يكرهه له ارتباط بهذا

الشارع ، وكلما ذكرت كلمة الأم فإنها تثير في ذهن الفرد عادة فكرتي الشفقة والحنان ..... وهكذا)) (٦)

ويعرفه (جميل :١٩٧٣) بانه : ((مايمكن تصوره ، والمفهوم والمعنى متحدان بالذات ، فان كلاً منهما هو الصورة الحاصلة في العقل أو عنده . ويطلق المفهوم على مجموع الصفات التي يتضمنها تصور الشئ ، فتصور الإنسان يتضمن تصور الحياة ، وكذلك يطلق المفهوم على مجموع الصفات التي يدل عليها اللفظ في ذهن فرد معين، أو في أذهان معظم الأفراد في إحدى الجماعات)). (٧) .

٢. الصورة :

الصورة في القرآن الكريم :

تظهر كلمة الصورة في القرآن الكريم في آيات كريمة عديدة ففي قوله عز وجل « فِي أي صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَبَكَ « (٨) . أي خلقكم في أي صورة من ذكر أو أنثى ، وقوله تعالى : « اللّه الذي جَعَلَ لَكُمُ الأرضَ قَرَاراً وَالَسمَاءَ بِنَاءً وَصَوَرَكُم فَأحسَنَ صُوَرَكُم « (٩) . أي أحسن أشكالكم . وغيرها من السور التي تتطرق إلى الصورة .

الصورة لغويا :

صورة مفرد ، صور جمع : شكل ، كل ما يصور كتاب مزين بالصور ، صورة مصغرة / مكبرة / شمسية : حشية الصورة ما يفصل الصورة عن الإطار (١٠) .

صورة الشيء : ماهيته المجردة ، خياله في الذهن أو العقل ، صورة جامعة .

صورة ذهنية : تجميل لما كان في الماضي أو يكون في المستقبل . (١١) .

الصورة (اصطلاحا) :

إن غموض مصطلح (الصورة) منشأه ديناميكية المصطلح وقابليته للاستخدام مابين الصورة المنطقية المجردة الخيالية (الصرفة) إلى الصورة المحاكية للطبيعة (بنية متجردة مرئية) وما بينهما من صور ذهنية .

هذه (الصورة ـ البنية) تكون في شكل مادي (قشرة ظاهرية) من (خط ولون وخامة وتقنية) يتكون بـ (ترتيب الأجزاء المشكلة للهيئة المادية بجانب مرئي) . (١٢) .

والصورة (كمبدأ) هي مصدر الجمال وكلمة (forma) . أصلها في اللاتينية (صورة) وتعني (الجمال) . (١٣) .

« إعادة خلق إحساس أو شعور في العقل يتم بواسطة إدراك مادي ، أنها تحتوي على فكرة يكون الانتباه فيها مركزا على نوعية حسية بشكل ما ، عليه فعندما ترى عين الإنسان لونا ما فأن صورة من نفس اللون تتكون في عقله وذلك لأن أساسه الداخلي سيصبح نسخة مصورة مطابقة للون نفسه « . (١٤) .

ومن هنا فقد عرف الفن بأنه (إرادة الصورة) لأن العمل الفني في جانب كبير منه ، خلق لمجموعة علاقات صورية . (١٥) .

أو بتراكم الخبرة أو بالحدس أو بالحس الذي لابد منه في انجاز صورة بـ (هيئة) و (شكل) و(مرئي) فهي الشرط اللازم للعمل الفني لكي يكون مظهرا حسيا ولذلك عرف (الشيء) بأنه تلك المادة المعينة التي اكتسبت (صورة) أو (مظهراً خارجياً) والذي قد يكون بصورة (برداً مفاجئاً) على سطح الذهن أو الذاكرة . (١٦) .

وتقع الصورة بين الاستعارة والتشبيه ، وهي تشابه الأولى إلى حد نستطيع معه أن نعدها استعارة متطورة ، وهذا ما يقرب الشقة بينها وبين التشبيه ، مع فارق واحد وهو أن المدلول في الصورة لايمكن إدراكه في ذاته وبالتعارض مع الخارجية العينية التي تقيم علاقة تشابه صريحة بينه وبينها . (١٧) .

وتستطيع الباحثة الآن تعريف الصورة إجرائياً بما يخدم أهداف بحثها وكالآتي :

(هي مجموعة بنى تكونت في ذهن الإنسان و تشترك في تكوينها الرؤية البصرية من خلال دمج مجموعة من الخبرات الحسية في كل متكامل لتنتج صورة ذهنية تمتلك رموزا وشفرات ، لتشكل بمجموعها ثقافة الصورة) .

المناقشة :

ومن خلال ما تقدم يتضح أن تعريف المفهوم اتخذ معان عدة ، إذ عدَه بعضهم تصور الشئ وإدراكه ومعرفته معرفة قلبية ، وبهذا تدخل العاطفة فيه لأن كل شئ يدرك بالقلب يرتبط بهذا المعنى . وهذا ما ذهب اليه

(جبران : ١٩٦٠)

في حين يذهب بعضهم الآخر إلى عدَه وحدة يمكن للمرء إدراكها بعيداً عن اللغة وعن طريق الذهن الخالص ،يمكننا إدراكها وهو ما ذهب اليه (علوش: ١٩٨٥)

ومن المهم عدَ المفهوم ، هو المعنى الذي ينتج نتيجة تجربة فردية أو اجتماعية ، وهو ما تستدعيه كلمة ما في ذهن الإنسان ، فهو بمثابة ارتباط شئ بشئ آخر فَذكرُ كلمة (شارع) قد تُذَكر المرء بحادثة تؤله لها ارتباط بهذا الشارع ، وكلمة دماغ ربما تثير في ذهن المرء مفاهيم ترتبط بالتفكير والذكاء وهكذا .... ، وهو ما أكَده (فؤاد : ب. ت)

ومنهم من عرَف المفهوم بأنَه معنى مرتبط بالتصور ، فهو الصورة الحاصلة في عقل الإنسان ، ويطلق كذلك على جميع الصفات التي يدل عليها لفظ ما في ذهن فرد ما ، أو في ذهن مجموعة من الأفراد ، وهذا ما ذهب إليه (جميل :١٩٧٣) . وبناءاً على ما تقدم سوف تقوم الباحثة بتعريف (المفهوم) إجرائياً ليتفق مع أهداف بحثها على النحو الآتي:

(المفهوم) (
Comprehension) :

((وهو إشارة تستدعيها لفظة ما تنتج بفعل تجارب جماعية أو فردية في مجتمع ما لذا يكون تأثير ذلك المجتمع عليها بأفكاره وقيمه ، مما يشكل نظاماً يحدد سلوك الأفراد وأفعالهم .

وبالتالي يكون معنى النظام من الأسس والعلاقات التكوينية والفنية بوحداتها وعناصرها وإشاراتها و رموزها وأسسها الفكرية داخل العمل الفني عامة، والعمل الزخرفي خاصة) .

الفصل الثاني:

المبحث الأول : (الصورة عند أفلاطون) :

يعد أفلاطون × من أشهر الفلاسفة الإغريق ، وقد انطلقت آراءه الجمالية معبره عن نظريته المثالية ، كانت له آراء جمالية وفكرية مميزة أثرَت على معظم التيارات الفكرية التي جاءت من بعده . ومن بين الطروحات الفكرية والجمالية هو ما طرحه من نظرية المحاكاة وعالم المثل الذي عدَه عالماً مثالياً يرجع كل جميل إليه . ومن آرائه في الصورة (موضوع البحث) هو أنه وجدها ، لا تكمن في المشهد الحسي بل في عالم المثل وما نراه من صور في هذا العالم المحسوس ، وما نراه من صور جميلة في هذا الواقع ، ما هي إلاَ صور زائفة و زائلة وهو مجرد انعكاس مشوه عن الأصل (الذي حدده بعالم المثل) .

يقول أفلاطون :((إن كل شئ زمني في هذا العالم هو صورة لمثال ابدي موجود في عالم المثل ...)) .

وقد طبق فكرته هذه على تفسيره للفن فيقول : ((إن الفنان ما هو إلا ناسخ لا يفهم المعنى الحقيقي للوجود والرائع ولكنه يخلق أنتاجاً فنياً وبعبارة أخرى فهو يحاكي العالم المحسوس ولكن الأخير ماهو إلا نسخة لنسخة ... انعكاس لانعكاس وظل لظل)) . (١٨) .

فلا قيمة للحواس في أدراك الجمال لان الجمال الحقيقي لا يدرك إلا بالعقل ، ولو بحثنا في الجمال لن نجده في الأشياء الموجودة في المشهدية الحسية ، أن الجمال الذي ينبغي أن نبحث عنه هو الجمال المطلق،المعقول، انه الجمال بالذات أو مثال الجمال .

إذن هذه دعوة من أفلاطون للتخلي عن الحواس في أدراك الصورة ،لاسيما الصورة الجميلة ، ومن هنا فقد توجت فلسفته الوجود كله بعالم الصور ، لذلك فقد دعا إلى الصور المحورة والمصحفة القريبة من الأشكال الهندسية فقد وجد أن أجمل الصور هي التي تخلقها الأشكال

الهندسية ، موجها أفلاطون الأنظار إلى جمال الأشكال الهندسية فقد جعل الجمال كامن في المربع والمكعب والاسطوانة ، إذ يقول : « إن ما أقصده بالجمال هو جمال الخطوط المستقيمة والحادة والزوايا القائمة « ولأن الخطوط المنحنية تقود المتلقي إلى العالم الموضوعي لأنها تُحصى وتُعَد ، وهي بذلك تبتعد عن المثالية ، لذلك كان خطاب أفلاطون هندسيا ، فأفلاطون أذاب عناصر الواقع الحسي (والمشهدية الحسية) وجعل منها أكثر ترفعا بحيث يصبح اللون بنية جمالية بحد ذاتها كذلك الخط واللون والمساحة والفضاء . لقد استبدل أفلاطون عالم الصور عند سقراط إلى عالم المثل أو (الجمال بالذات) وهو ما أطلق عليه (المثال المعقول) .

(١٩) .

وربما ذلك (وحسب رأي الباحثة) يفتح الباب لالتقاء الصورة من وجهة النظر العربية الإسلامية معه . لذا فان أهمية أفلاطون تكمن في إثبات عالم مفترض بالجدل والحدس والشك ، والواقع هذا العالم ناتج عن إحساس الإنسان بالخيبات المتلاحقة التي يَشهدها عالم المادة (عالم

الحس) فكل شئ آيل إلى الفناء، وبالتالي يفترض وجود عالم أكثر خلود من هذا العالم ، بمعنى أن منتجات الفن لابد أن تكون نسبية ومحدودة

التأثير ، ومن هذه الفرضية قال (أفلاطون): إن الفنان لا يستطيع أن ينتج شئ ذو قيمة دون أن يستمد العون من عالم المثل (عالم الأفكار).

يرى أفلاطون أن الصور ما هي إلا ماهيات منعزلة مستقلة قائمة بذاتها في عالم علوي ، ولا يستطيع الإنسان الوصول إلى إدراك هذه الصور إلا عن طريق التفكير العقلي ، أما عن طريق الحس فلا يستطيع أن يصل إلى شي .

ثم يؤكد بعد ذلك أن الصور هي نفسها أعداد ، وهو يفرق بين نوعين من الأعداد : الأعداد الحسابية ، والأعداد المثالية.

فيقول إن الأعداد بوصفها وحدات مقابلة للأشياء الحسية هي الأعداد الرياضية ، أما الأعداد بوصفها مبادئ الأشياء وعن طريقها نستطيع أن نستخلص بقية الوجود ، فيمكن أن تسمى باسم الأعداد المثالية أو الأعداد كصور.

فالواحد والاثنان إلى العشرة ، هي أعداد مثالية ، لأننا نستطيع من هذه الأعداد وبحسب ترتيبها استخلاص الواحد من الآخر ثُم استخلاص بقية الموجودات من هذه العشرة أعداد الأولى.

ثم يؤكد في بحثه عن مفهوم الصور فيجعل الصور عللا ، فيرى الصور أصل الأشياء.

وهو يرى أن وجود الأعداد هو وجود متوسط بين وجود الأشياء المشاركة في الصور وبين وجود الصور نفسها (٢٠) .

نرى من عرض ما تقدم أن أفكار أفلاطون تذهب إلى أن الصور نفسها أعداد ، وهي وجهة نظر رياضية ، ذلك لأنه يجعل من الهندسة والرياضيات ، جوانب مثالية وسامية

ويمكن الاستنتاج أن أفلاطون يرى أن الصور أعداد أو شبيهه بالأعداد ، إذ إن الصور يمكن أن تحتوي على أكثر من واحد(تحتوي على المحدود واللامحدود) وذلك يؤذن بوجود صلة العلية بين هذه وتلك ، بل يحاول أن يرجع العلل المختلفة التي هي صور إلى علة واحدة تسودها جميعا وتلك هي الصورة الأولى أو الصورة العليا ، وهي صورة الخير.

وبذلك فقد أقام أفلاطون نظريته في الصور على أساس أنها الكليات التي تجمع بين الأشياء المختلفة من حيث أن هذه الأشياء تتصف بصفات مشتركة.

ويرى أن كل شئ في الوجود له صورته ، فليست الصور مقتصرة على الأشياء الجميلة أو الخيرة أو الحقيقية ، بل لكل شئ مهما كان شراً أو قبيحاً أو باطلاً ، صورته ، وأنه فقط الأشياء الطبيعية هي وحدها الصور .

لذا فقد حاول أن يبحث عن الصور الأساسية التي تحمل على الوجود ، فهو يبحث في الشبه واللا شبه ، وفي الحركة والسكون ، والمساوي واللامساوي ، وفي الكبير والصغير ، وفي المحدود واللا محدود.

ثم يبحث ، بعد ذلك في صلة الموجودات بعضها ببعض ويقول إن الموجودات مرتبة ترتيباً تصاعدياً ، ويرتفع بهذه الموجودات حتى يصل في الصور إلى أعلى صورة ، وهي صورة الخير .

ونرى هنا أنه أراد أن يقول أن صورة الخير تفيض منها صور الموجودات ، فهي علة الصور.

وإذا كانت الصور علة الأشياء ، فعلة الصور هي علة الوجود ، ومعنى هذا أن علّة العلل هي صورة الخير .

نستخلص من ذلك أن أفلاطون أراد أن يؤكد أن العلة الأولى هي الخير ، وأنها أنما يصدر عنها الوجود لأنها الخير ، والخير يقتضي الفيض والجود وهذا الجود هو العالم ، مصدر الكثرة في الموجودات ، ونستطيع الاستنتاج أن أفلاطون أراد القول بوجود (الكثرة في الوحدة) فصورة الخير هي (الوحدة) وما يفيض عنها من صور هي الكثرة.

وبهذا فهو يعد صورة الخير هي الصورة العليا وأنها القمة بالنسبة إلى جميع الصور وأنها أخيراً العلة الأولى ، وعن طريق صورة الخير تتحد صورة الأشياء بالمادة ، وعن هذا تتكون المحسوسات وهذا ما يسميه أفلاطون

بالعلية العاقلة في مقابل الضرورة أو العلية العمياء ، والموجودات التي تنشأ عن صورة الخير والتي فيها تقبل الصورة ، المادة أو الهيولي التي يراد إيداعها فيها قبول تام ، فالعلة فيها علة عاقلة ، وفي معرض بحث أفلاطون عن الجمال ، يتوصل إلى أنه يفهم الجمال فهما أخلاقياً بمعنى أنه الخير : فليس الجمال هو الصورة الحسية التي تحدث في النفس لذة حسّية جمالية ، وإنما الجمال الحقيقي هو جمال الحق أو جمال الخير ، والوجود الحقيقي عند أفلاطون هو وجود الصورة أما الوجود الحسي فلا يحق مطلقا تسميته باسم وجود حقيقي ، فهو يسعى إلى تأمل الصورة الحقيقية مباشرة ، وذلك بأن يتجه المرء إلى تأمل الحق والخير.

المبحث الثاني : الصورة في الفكر الإسلامي :

و الآن لنرى ماذا تصف لنا الرؤيا العربية الإسلامية الصورة ، وفقا لمنظور الفكر العربي الإسلامي ، ذلك الفكر الذي يتطور حيا في توثب ومرونة في عالم لانهائي ، فني فيه المحسوس وحلق في سمائه فيض زاخر من الصور الأزلية الرفافة في نور المطلق ، وانسجام رائع في كون تكتنفه روح الجمال الإلهي من كل جوانبه ، وهيمنت عليه من قمة الجود والفيض في ثبات أزلي ارتفع فوق مفهوم الزمان والمكان الوهميين ، وتحرر من عدم المادة البراق ليحل محله حب قدسي، فهو صورة من صور الوجد المشوب بالعشق والبحث عن المطلق، ونفوساً متأمله متجردة عن كل محسوس ، تنشد بجد سبيلها الحق إلى الفردوس المنشود ، وروحاً مرهفه تملؤها الحركة والحياة ، موشحة بالفضيلة كالزجاج الناصع ، استحالت فيها النفس عبر تأملاتها إلى روح مثلى .

تلك هي سمات الفكر العربي الإسلامي الذي ستظل الإنسانية تستلهمه في شغف مهما امتد الزمن ، لأن فيه أجمل تعبير عن الكون ، وستلجأ إليه الأنفس ، حينما يرهقها الواقع بما ينطوي عليه من عبث ، وحينما لن تجد قبساً تستهديه ، حين تشعر أنها أظلت طريقها ، غير الفكر العربي الإسلامي .

نحن الآن إزاء الرؤيا الإسلامية لمفهوم الصورة ، إذ يرى الفكر الإسلامي إن الصورة هي وجود عيني للشيء ، هي وجود ظاهري تقع في مقابله الحقيقة أو الماهية لباطن ذلك الشئ.

فالإنسان هو الصورة الظاهرة التي بها جمع الله حقائق الكون وعناصره ، فهو كون مصغر يحوي عناصر الكون المكبر من معادن وماء وهواء وغيرها وفي ذلك يقول ابن الرومي : « وتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر » ، في هذه الصورة يصور ابن الرومي ، الإنسان ، ثم يقرر الفكر العربي الإسلامي فكل ماسوى المطلق هو صور غير حقيقة ، وهذه الصور هي ظل الحقيقة وليست الحقيقة نفسها ، ولذلك فهي مجردة ذهنيا كظاهر يخفي باطناً .

إذن مما تقدم نستطيع الاستنتاج أن الصورة الحقيقية في الفكر العربي الإسلامي هي الحقيقة المطلقة وما عداها فهو ظلال ، أو انعكاسات أشبه ماتكون بظل شي في الماء ، فهو ليس بحقيقة

وفي الحديث القدسي ، يقول رب العزة : (كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبي عرفوني) . (٢١) .

ومن هنا ندرك أن الحقيقة الوحيدة في الوجود هي الحقيقة المطلقة وماعداها فهو سراب وظل ، فكل الصور في الوجود هي كالسراب لا وجود لها ، الوجود الحقيقي هو (الخالق عز وجل) فهو مصدر الوجود واليه مرجع الكائنات وهو ماتخبرنا به الآية الكريمة : (مامن دابة على الأرض ولا طير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ، مافرطنا في الكتاب من شئ ثم إلى ربهم يحشرون) . (٢٢) .

وهكذا يمكننا أن ندرك أوجه الائتلاف بين أفكار أفلاطون ، والفكر العربي الإسلامي ، فالفكر العربي الإسلامي يبحث عن الصورة الحقيقية (ويتأملها) وذلك التأمل المباشر يفضي به إلى تأمل آخر باطني ، كذلك يرى أفلاطون أن صور الموجودات ماهي إلا أفكار كانت في صورة الخير ثم تطورت تلك الأفكار ، أي بعد إفاضة صورة الخير لتلك الأفكار فتكونت صور الموجودات .

أما الفكر العربي الإسلامي ، فهو يرى أن النفس الكلية التي فاضت عن العقل الفعال ، أفاضت هي بدورها النفوس على صورتها ومثالها ، بل على أنها أقوى منها ، وظلت هذه الأنفس في

الملء الأعلى زمناً تعيش في سعادة وحبور دائمين حتى أكل سيدنا آدم (عليه السلام) من الشجرة ، التي نهاه الله عنها ، وعندئذ هبطت النفوس الجزئية إلى الأرض واتحدت بالأجسام ، فمنها من أتحد بالأجسام المعدنية ومنها من اتحد بالأجسام النباتية وهكذا ، على أن النفس تحتفظ بروحانياتها ،وإنما تتحد بالأجسام لتكفر عن أخطائها . يرى أفلاطون أن المادة هي مقر العدم وأن كل ما موجود في الأرض هو حلم ، فهي صور منعكسة وليست صوراً حقيقية.

أما الفكر العربي الإسلامي ، فهو يؤمن أن ليس للعالم وجود إلا كوجود الظلال في الأنهار ، وكصور المرايا بالنسبة للمرئيات ، فالعالم كله ليس إلا خيالاً أو حلماً وجب تفسيره وفهمه على حقيقته.

ومعنى هذا أن الوجود المطلق لله ، لأنه واجب الوجود في ذاته والموجودات ظل له لا وجود لها في ذاتها. والرحمة الإلهية هي التي منحت الوجود للموجودات ، فالله هو الغني وكل الموجودات تفتقر إليه. ومن خلال ماسبق عرضه من أفكار أفلاطون وجدنا أن أفلاطون يؤمن بوجود أشياء قبيحة وهذا ما لانجده في الفكر العربي الإسلامي فهو يرى أن كل شيء في الوجود له جماله وينفي صفة القبح من الأشياء ذلك لأن كل شي صادر من الله والله جميل (وهو مصدر الجمال) وكل مايصدر عن الجميل ، فهو جميل ولكن يبقى الجمال هنا نسبياً فما يراه شعب من الشعوب جميلا قد لايراه شعب آخر كذلك .

وهكذا فان جميع الصور ، جميلة ، لأنها من صنع الخالق المبدع المصور جل وعلا .

الفصل الثالث

أولا : النتائج :

تستطيع الباحثة من خلال ماتقدم أن تتبين من الإطار النظري وما تضمنه من فرشة مفاهيمية، الآتي :

١- ثمة رابط مشترك في مفهوم الصورة بين أفلاطون والفكر العربي الإسلامي ، فكلاهما يرجع الصورة إلى علة واحدة ، تستمد قوتها (أي الصورة منها) .

٢- الصورة الحقيقية عند أفلاطون غاب عنها الجانب الحسي فهي مثالية غير متعينة ، كذلك هو الحال في الفكر العربي الإسلامي ، فالصورة هنا لاتدرك بالعين الاعتيادية وإنما بعين القلب النورانية .

٣- الصور الموجودة في عالم الدنيا عند أفلاطون هي محظ خيال أو وهم ، وهي انعكاس لما موجود في عالم المثل ، وكذلك يرى الفكر العربي الإسلامي أن كل ماموجود في هذا العالم هو آيل إلى زوال وهو على سبيل الحلم والحقيقة الخالدة هي في الحياة الآخرة .

٤ – لم يعول أفلاطون كثيرا على الحواس لإدراك الجمال الحقيقي ، ومن ثم الصورة الحقيقية بل بشي أكثر علواً من الحواس فهي عنده ناقصة لاتوصل المرء إلى الحقيقة ، والحقيقة التي يبحث عنها هي الحقيقة المطلقة . في حين فرض الفكر العربي الإسلامي لإدراك الصورة الحقيقية ، اشتراك الحواس مع القلب والعقل ، فقد دعا الإنسان إلى التفكر في خلق الله والتأمل في آياته التي جعلها في عالم الدنيا ويمكننا تمثل ذلك في قوله سبحانه وتعالى : (سنريهم آياتنا في الآفاق وهي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) (٢٣).

٥- الصورة الحقيقية عند أفلاطون هي وجهان لعملة واحدة فهي تحتوي على المحدود واللامحدود ، كذلك الفكر العربي الإسلامي الذي رأى أنها تحتوي على التقييد والإطلاق و(المحدود و اللامحدود) .

٦- جميع الصور المشاهدة على الأرض هي صور جميلة (في الفكر العربي الإسلامي) وذلك لأنها صادرة عن الجميل (الخالق عز وجل) وكل شيء يصدر عن الجميل فهو يتسم بالجمال .

ثانياً : التوصيات :

١- ضرورة اطلاع دارسي الفن على الفكر الأفلاطوني ، كونه فكر فيه الشيء الكثير من الآراء التي لاقت صدىً واسعاً في الفن العربي الإسلامي .

٢- العمل على موائمة الجانب المفاهيمي مع المعالجات التقنية ، وبالشكل الذي يعمق من رصانة التجارب الفنية لاسيما في الفنون العربية الإسلامية .

٣- ضرورة عناية المؤسسات الفكرية واللغوية والثقافية بتعميق الوعي الفكري حول مفاهيم معينة من أمثال الصورة- الجمال – الجلال وغيرها وتطبيقها في الحقول المعرفية واللغوية والثقافية .

٤- ضرورة إصدار المطبوعات التي تعنى بمفهوم الصورة في الفكر واللغة والفلسفة الإنسانية .

ثالثا : المقترحات :

استكمالاً لمتطلبات البحث الحالي ، تقترح الباحثة دراسة الآتي :

١- مفهوم الصورة عند أرسطو والفكر العربي الإسلامي (دراسة مقارنة)

٢- مفهوم الصورة في اللغة العربية .

٣- مفهوم الصورة عند الغزالي .

٤- دلالة الصورة في الشعر العربي

٥- دلالات الصورة البلاغية في اللغة العربية .

٦. الأيقونة والرمز في صورة شعراء المعلقات .

المصادر :

١. آل ياسين ، جعفر ، فلاسفة يونانيون من طاليس إلى سقراط . ط٣ مكتبه الفكر العربي للنشر والتوزيع ، بغداد : ب. ت . ص ٥

٢. عبد حيدر ، نجم ، علم الجمال ، آفاقه وتطوره ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد كلية الفنون الجميلة ، ط ٢ ، بغداد : ٢٠٠٠ ، ص ٦ .

٣. الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، مختار الصحاح ، دار الرسالة ، الكويت : ١٩٨٢ ، ص ٥١٣ .

٤. جبران ، رائد الطلاب معجم لغوي عصري للطلاب ، دار العلم للملايين ، ط ١، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص١١٣٥

٥. علوش ، سعيد ، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت : ١٩٨٥ ، ص ١٧١ .

٦. فؤاد ، كامل ، الموسوعة الفلسفية المختصرة ، مكتبه النهضة ، بغداد : ب . ت ، ص ١٣٢ .

٧. صليبا ، جميل ، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية ، دار الكتاب اللبناني ، ج ٢ ، بيروت : ١٩٩٨ ، ص ٤٠٣ ـ ٤٠٤ .

٨. سورة الانفطار ، الآية ٨ .

٩. سورة غافر ، الآية ٦٤ .

١٠. أحمد ، مختار عمر ، وآخرون ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، مجلد ١ ، ط١ ، عالم الكتب ، القاهرة : ٢٠٠٨ . ص ١٣٣٤.

١١. أحمد ، مختار عمر ، وآخرون ، المصدر السابق نفسه ، ص١٣٣٤.

١٢. ريد ، هربرت ، معنى الفن ، ط٢ ، ترجمة : سامي خشبة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد : ١٩٨٦ ، ص ٥١ .

١٣. برتليمي ، جان ، بحث في علم الجمال ، ترجمة : أنور عبد العزيز ، مراجعة : نظمي لوفا ، دار النهضة ، مصر ، القاهرة : ١٩٧٠ ، ص ١٧٧ .

١٤. موسوعة برستون للشعر ، ترجمة : نايف العجلوني وخالد سليمان ، مجلة الثقافة الأجنبية (١٩٧) العدد (٢) ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد : ١٩٨٦، ص ١٠٠.

١٥. إبراهيم ، زكريا ، مشكلة الفن ، مكتبة مصر ، القاهرة : ١٩٦٧، ص ٤٠ ـ ٤١ .

١٦. باشلار ، غاستون ، جماليات المكان ، ترجمة : غاب هسلسا ، دار الجاحظ ، بغداد : ١٩٨٠ ، ص ١٨ .

١٧. هيغل ، الفن الرمزي ، ترجمة : جورج طرابيشي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت : ١٩٦٤، ص ١٥٩

١٨. اوفسيانيكوف ، م.أ.ز ، موجز تاريخ النظريات الجمالية ، تعريب : باسم السقا ، دار الفارابي ، بيروت :١٩٧٩ ، ص ٦٥ .

× أفلاطون (٤٢٧___ ٣٤٧ق.م) ولد في أثينا وعاش فيها معظم سنين حياته التي بلغت الثمانين ، كرس معظم حياته للدرس والنظر والتعليم . فؤاد ، كامل ، المصدر السابق نفسه ، ص ٥٣ .

١٩. . أميرة ،حلمي مطر ، في فلسفة الفن من أفلاطون إلى سارتر ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة : ١٩٧٤ ، ص ٥٩ .

٢٠. بدوي ، عبد الرحمن ، أفلاطون خلاصة الفكر الأوربي ، سلسلة الينابيع ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة: ١٩٤٣ ، ص ٦٥ .

٢١. لطفي ، صفا ، القيم الجمالية

والفكرية للوحدات الزخرفية في عمارة سامراء للفترة من (٢٢١هـ - ٢٦٩هـ) ، رسالة ماجستير غير منشوره ، جامعه بابل ،كلية التربية الفنية : ١٩٩٩ ، ص ٧٣ .
٢٢. سورة الأنعام ، الآية ٣٨ .
٢٣. سورة فصلت ، الآية ٥٣ .